الإنزياح الإستبدالي في حكم نهج البلاغة التشبيه نموذجاً

طالب الدكتوراه علي ناصري
جامعة أزاد الإسلامية فرع آبادان قسم اللغة العربية وآدابها ـ إيران
الدكتور محمد جواد اسماعيل غانمي (الكاتب المسئول)
استاذ مساعد بجامعة أزاد الإسلامية فرع آبادان قسم اللغة العربية وآدابها- إيران
الدكتورة سهاد جادري
استاذة مساعدة بجامعة أزاد الإسلامية فرع آبادان قسم اللغة العربية وآدابها-إيران
sohadjaderi@yahoo.com

Replacement displacement in the judgment of rhetoric approach The simulation is a model

Ali naseri
PhD student Islamic azad University abadan , Branch of Arabic Language and Literature , Iran
Dr. mohammad javad esmailghanimi (responsible writer)
Islamic Republic Azad Islamic University , Abadan Branch , Department of Arabic Language and Literature , Iran
Dr. sohadjaderi
Islamic Republic Azad Islamic University , Abadan Branch , Department of Arabic Language and Literature , Iran

الملخص:

إلإنزياح من الظواهر الهامة في الدراسات الألسنية و الأسلوبية التي تقوم بدراسة الشعر و النثر و تُظهر ما فيها من مخالفة للأساليب المألوفة والعادية للكلام. أنَّ النص شعراً كان أو نثراً ينزع إلى تحقيق هوية من خلال الإختلاف في الخطاب الشائع و حكم الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة تنزع في العديد من مواطنها إلى الانزياح ويتبلور الانزياح في كلام الامام في اعلى مستوياته. لهذا نحاول من خلال هذا البحث أن نعالج ظاهرة الانزياح في حكم نهج البلاغة مُركزين على التشبيه من الانزياح الاستبدالي. وقد يكون أهم ما يخرج به البحث أنَّ ظاهرة الانزياح تتيح للناثر أو الشاعر آفاقاً واسعة يستطيع من خلالها التعبير عن المضامين والافكار والمعطيات بشكل واسع و ذلك ما ترآءَ لنا في حكم الإمام عليه السلام.

الكلمات المفتاحية: الامام علي، حكم نهج البلاغة، الانزياح الاستدلالي، التشبيه.

Abstract:-

Defamiliarion of Nahj al-Balagha is the topic of our essay. Firstly We have discussed the lexical and idiomatical meaning of the defamiliarization and after that its conception, specifications and categories have been experessed. After this methd to Nahj al-Balagha wisdoms and at the end we have concluded the discussion with the obtained consequences.

Comparision have been done through utilizing the Nahj al-balagha wisdoms and wherever defamiliarization was found or utilized as simile after recognition we have enalyzed and compared it using the Art of Eloquence.

Key words: lmam Ali(pbuh), Nahj al-Balagha wisdoms, Defamiliarizaton, Simile.

المقدمة:ـ

إنَّ الإنزياح تمردٌ يمارسه الشاعر أو الكاتب على المعيار و القاعدة و العادة و هذا التمرد قد ينشأ في نفسية المبدع بشكل متفاوت ومختلف. لهذا تراهُ يرتكب الممنوع باستمرار ويخالف المألوف حسب نفسيته و ما يسكن في ذاته من انكار و تمرُّد. ظاهرة الإنزياح قد عولجت من قبل نقادنا القدماء، بأسلوب يضاهي احياناً مستوي المدارس الإسلوبية والشعرية الغربية الحديثة، فهذه الظاهرة من حيث المفهوم كانت حاضرة، الاَّ أنَّها كانت تسمي بمسميات مختلفة، كالعدول و المجاز و المبالغة و الإغراق و الضرورة و غير ذلك.

فقد أخترنا هذا الموضوع لنبين ظاهرة الإنزياح الإستبدالي في حكم نهج البلاغة و نرى جمالية هذا الفن في كلام الإمام عليه السلام، وبما أنّ من الصعب أن نتناول كل انواع الانزياح في هذا المقال، لهذا اخترنا التشبيه من الإنزياح الأستبدالي و ما اكثرهُ في حكمهِ عليه السلام. و قد اعتمدنا في هذه الدراسة الإسلوب التحليلي و التطبيقي لتبين الإنزياح في حكم نهج البلاغة.

الانزياح

تعُد كلمة ((الانزياح)) من المفردات الحديثة اصطلاحاً و استعمالاً في علوم الادب العالمي بصورة عامة و في الدراسات الأسلوبية و الألسنية الحديثة بصورة خاصة. ذُكرت جذورها و اصالتها في كتب الماجم العربية القديمة، امثال معجم لسان العرب لابن منظور و معجم القاموس المحيط للفيروز الآبادي و غيرهما من المعاجم.

فينبغي لنا قبل ان نقوس في دراسة علم الانزياح، نتعرف عن مفردة الانزياح لغةً واصطلاحاً، حتى تتهيأ لنا ارضية البحث حول دراسة هذا الفن في ساحة اللغة بشكلٍ اوسع واوضح.

مفهوم الانزياح:

في اللغة:

إنَّ لُغَة الانزياح كما ذُكر في معجم لسان العرب لصاحبه بن منظور:((الانزياح لغة مأخوذ عن الجذر اللغوي (ز، ي، ح) زاح الشيءُ يزيح زَيحاً و زُيوحاً و زِيوحاَ و انزاح: يعني ذهب و تباعد.

وقد عرفه الفيروز آبادي صاحب القاموس المحيط بأنَّهُ:((من الفعل زاح: يزيح زيحاً وزُيوحاً زيحاً: بَعُدَ و ذهب ، كانزاح و أزحنُهُ)). (نظري، على، ١٣٩٢ ش، ص٥٧.)

في الاصطلاح:

وأمَّا الانزياح اصطلاحاً ((فهو يعادلEcart بالفرانسية وDeviation بالإنجليزية (خياط، د.ت: ٣٠٤)؛ و يعني مصطلح الانزياح الخروج عن أصول اللغة و قواعدها و الانحراف عمَّا هو مألوف و شائع الاستعمال و كذلك إعطاء الكلمات أبعاداً دلالية غير متوقعة و لهذا المصطلح في اللغة العربية عدَّة مرادفات، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: التجاوز، الانحراف، العدول، الاختلال، المخالفي، الانتهاك و...)). (مجاز، بختيار، ١٤٢٧هـ، ص٦٥٧.)

فتبين لنا أنَّ المعني الاصطلاحي للانزياح لا يبتعد كثيراً عن جذره اللغوي؛ ((لأنَ الخروج عن المألوف ليس ألَّا الابتعاد عمَّا ألفه الذهن، إذا كان الانزياح خرقاَ للقواعد و المقاييس الشائعة للغةٍ ما، فأنَّه يتيح للأديب المجال لأن يخلق بإزاحةِ التكرار عن ساحة اللغة كلاماً)).(م، ن، ص ٦٥٧.)

وقد وصفت ظاهرة الانزياح بعدة تعابير اصطلاحية مثل ((الجسارة اللغوية و الغرابة و الشذوذ اللغوية و الابتكار و العدول و الازورار و الاتساع...)). (بن قويدر، مختار، ٢٠١٠م، ص٢٧٠.)

وأيضاً أطلق الدارسون المسلمون على هذه الظاهرة مصطلحات عدّة منها: ((المجاز والنقل والانتقال والتحريف والانحراف والرجوع والالتفات والعدول والصرف والانصراف ومخالفة مقتضي الظاهر...)) (قائمي، مرتضي، ٢٠١٦ م. ص٤٣.)

تعريف الانزياح

لقد تباينت تعاريف الانزياح لدي النقاد و الأسلوبيين، و منهم قول نور الدين السد: ((الانزياح هو إنحراف الكلام عن نسقه المألوف، وحدث لغوي يظهر في تشكيل الكلام وصياغته، و يمكن بواسطته التعرف على طبيعة الأسلوب الأدبي، بل يمكن أعتبار الانزياح هو الأسلوب الأدبي ذاته. (نظري، على، ١٣٩٢ ش، ص٨٧.)

وقال ريفاتير: ((بأنه يكون خرقاً للقواعد حيناً و لجوءُ إلى ما ندر من الصيغ حيناً آخر، فأمّا في حالته الأولى فهو من مشمولات علم البلاغة فيقتضي إذن تقييماً بالإعتماد على أحكام معيارية، و أمّا في صورته الثانية فالبحث فيه من مقتضيات اللسانيات عامةً و الأسلوبية خاصةً.

ومن الناحية العلمية يعتبر الأسلوبيون أنه كلما تصرف مستعمل اللغة في هياكل دلالاتها و أشكال تركيبها، بما يخرج عن المألوف انتقل كلامه من السمّة الاخبارية إلى السمّة الإنشائية)).(م، ن، ص. ٨٧.)

فالانزياح فصلاً بين الكلام الفني و غير الفني. و مظهر عام لا يخص اللغة وحسب، بل هو ما يشمل الكون و الانسان معاً.

فائدة الانزياح:

الغرض من الانزياح في العمل الادبي. هو جلب انتباه المخاطب إلى الموضوع ليترسخ في ذهنه. ((و يجب على الانزياح آن يتصف بميزتين: الأول: مراعات الأصل الجمالي: إن الغرض من الأصل الجمالي هو التجاوز يسبب شعوراً جمالياً لدي القارئ و الثاني: الاتصال (Communication): إنهُ يتيح للمخاطب فرصة ليفهم احساس الكاتب في حدود الشعر)). (قائمي، مرتضي، ٢٠١٦ م، ص٤٥.)

معيار الانزياح:

يعرف المعيار على أنَّهُ النظام اللغوي الذي ينبغي على المتكلم أتباعهُ لِيحقق أداءً لغوياً فصيحاً و اعتماداً على هذا المعيار تحددّ درجة الفصاحة عند كل فرد و يطلق على هذا المعيار الذي يخروج عنه العدول بمسميات كثيرة منها: ((الاستعمال الدراج و المألوف و الشائع والواضع الجاري و درجة الصفر و السنن اللغوية.

ويرى بعض النقاد المحدثين أن الشعر انزياح عن معيار هو قانون اللغة، ولكنه ليس انزياحاً عشوائياً، و يذهب إلى أنَّ الانزياح هو الشرط الضروري لكل شعر، بل لا يوجد شعر سيخلو من الانزياح.

((إنَّ الموضوع الآخر في الانزياح الذي تجدر بالاشارة اليه هو أنَّهُ لا يعُدَّ كل إنحراف

إنزياحاَ، إذ لابُدَّ أن يصاحبهُ وظيفة جمالية و تعبيرية)). (م، ن، ص ٤٦.)

نشأة الانزياح:

لعل فضل انبثاقه يعزي إلى عبدالسلام المسدي في كتابه ((الاسلوبية و الاسلوب، أما شيوعه فيعود إلى مترجمي كتاب جان كوهين (بنية اللغة الشعرية) و هما محمد الولي و محمد العمري (رشيد الددة، د. عباس، ٢٠٠٩م، ص ٢٧.)

يعدّ مصطلح الانزياح من المصطلحات الشائعة في الدراسة الأسلوبية المعاصرة. و ربما جان كوهين اول من خصّ هذا المصطلح بحديث مستفيض في مجال حديثه عن لغة الشعر، كإحدي المحاولات النظرية الجادة في حقل الدراسات البلاغية و الشعرية. و قد استلهم جان كوهين المفهوم ليعني به ظاهرة فردية خاصة بأحد الكتَّاب أو بأحد المبدعين (بو حاتم، ٢٠٠٤: ١٧٠). اما بوادر الإنزياح كانت حاضرة في الفكر الغربي من قبل إنبثاق الدراسات الأ سلوبية، فلمَّا جاءت هذه الدراسات زاد المفهوم رسوخاً و عمقاً.

صحيح أن مصطلح الإنزياح مصطلح اُسلوبي، حديث النشأة لكن شيئاً من مفهوم هذا الانزياح قديم يرتدّ في اصوله إلى ارسطو و إلى ما تلا ارسطو من بلاغة و نقد.

امّا في الأدب العربي أول من استخدم هذا المصطلح هو عبد السلام المسدّي في كتابهِ ((الأسلوب والأسلوبية و)). و مصطلح الانزياح ترجمة للمصطلح الفرنسي Ecrat ومفهوم هذا المصطلح ليس بجديد في الأدب العربي، بل جاء في بعض الكتب النقدية والبلاغة القديمة ما يدلّ على هذا المفهوم. و قد فطن النقاد القدماء إلى هذه الظاهرة الاسلوبية وقال ابن جني: ((إنَّما يقع المجاز و يعدل إليه الحقيقة لمعان ثلاثة، وهي الإتساع والتوكيد والتشبيه. فإن عدم هذه الأوصاف كانت الحقيقة البتّة)) ٢: ٤٤٢.

فأوَّل من أشار إلى هذه الظاهرة بالبحث والدراسة عنها وسببها فهو سيبويه الذي يعتقد بأنَّ تقديم المفعول جاء لغرض بلاغيٌ وهو العناية والاهتمام بهِ. ثم جاء عبدالقادر الجرجاني يقتفي أثر سيبويه)) (مجاز، بختيار، ١٤٢٧هـ، ص٦٥٨.)

اقسام الانزياح:

تعددّت اقسام الانزياح عند النقاد إلى اقسام عديدة ومتنوعة، حتى وصلت إلى ما

يقارب خمسة عشري قسماً، بسبب اهميتهُ في النصوص الادبية، حتى انقسمت إلى قسمين رئيسين، تجتمع فيهما كل أشكال الانزياح.

القسم الاول: هو يتعلق بالسياق أو تركيب العبارات و هذا مايسمّى بالانزياح التركيبي و((يشتمل الانزياح التركيبي التقديم و التأخير و الحذف و الذكر و الاعتراض و الالتقات)) (مجاز، ١٤٢٧هـ، ص٦٥٨).

القسم الثاني: فهو ما يتعلق فيه الانزياح بجوهرة المادة اللغوية مما سمَّاهُ ((جان كوهين)) الانزياح الاستبدالي)) (نظري، ١٣٩٢ ش، ص٩٠.)

ويمكن القول بالكلام عن المستوي الاستبدالي أو الدلالي يقصد به الصور البيانية بما فيها من فنون التشبيه و الاستعارة و الكناية. ((فالمستوي الاستبدالي اكثر المستويات اللغوية مرونة، و يستخدم في الانزياح اكثر من غيره وهو الذي يقع في جوهر الكلمة دون النظر إلى الموضوع في الاستعارة و الكناية، المجاز المرسل و التشبيه، و هو يدرس ميزان التباين الموجود بين المشبه و المشبه به الذي يؤدي إلى خرق المألوف و ظهور المفاجأة...)). (هيثم، حمريط، ٢٠١٧م، ص ٣٤.)

وبما إنَّ موضوع هذه الدراسة يختص بالقسم الثاني و هو الانزياح الاستبدالي في حكم نهج البلاغة، فنتطرق فيما يلي بدراسة تطبيقية، معتمدين على نماذج من حكم نهج البلاغة.

ولِأنَّ من الصعب في هذا الفصل تناول كل مواطن هذا الانزياح لكثرته وسعته، ولذلك فإننا سنقف على بعض صوره و نماذجه من فن التشبه.

الانزياح الاستبدالي(التشبيه) في حكم نهج البلاغة

من خلال مطالتنا و دراستنا لحكم نهج البلاغة، رأينا أن التشبيه يأخذ حيزاً كبيراً دون الأنواع الأخرى من فنون البيان، لهذا ركزنا على التشبيه في حكم الإمام عليه السلام، فقد استخدمها سلام الله عليه بشكل دقيق وجميل يستدعي لُب القارئ والسامع. فمن حكمه عليه السلام والذي ذهب مذهب الامثال قولهُ:

١- قَالَ الامام علي عليه السلام: كُنْ فِي الْفِتْنَةِ كَابْنِ اللَّبُونِ لَا ظَهْرٌ فَيُرْكَبَ وَلَا ضَرْعٌ فَيُحْلَبَ.

قال بن هيثم البحراني: ابن اللبون ولد الناقة إذا استكمل سنتين و دخل في الثالثة؛ لأنَّ أمّهُ على الأغلب قد وضعت ولداً غيره فهي ذات لبن.

وقد أمر أصحابه في زمن الفتنة أن يتشبّهُ بابن اللبون، و أشار إلى وجه الشبه بقوله: ((لا ظهر... إلى آخره)) و أراد أنَّه يكون في زمانها خامل الذكر ضعيفاً غير مستكثر من المال كيلا يصلح لمعاونة الظالمين بنفسه ولا بماله، ولا ينتفع به في الفتنة، كابن اللبون لا ينفع بظهره ولا لبنه. (البحراني، ابن ميثم، ١٤٢٧هـ، ج ٥، ص ٢٩٥.)

فالإمام علي عليه السلام عمل أن يجد مثيلاً لمن يكون في الفتنة تقوي فيه صفة ((عدم الطمع في نفعه للغير)) فرأي أن ابن اللبون تتجلي فيه هذه الصفة فماثل بينهما و بين هذه المماثلة بحرف ((الكاف)) (جمشيدي، د، ليلا، ١٣٩٤ش، ص٥.)

يوجد في هذه الحكمة فن التشبيه واضحاً بأركانهِ الاربعة؛ من مشبه و مشبه به و الاداة ووجه الشبه.

اراد المتكلم في هذه العبارة أن ينقل الفكرة بصورة ظاهرية و واقعية إلى المخاطب، فأنزاح إلى تشبيه حال المشبه بصورةٍ محسوسة و ملموسة، اظهر فيها حالة الضعف و عدم الاستفادة و ذلك عن طريقة مقابلة المشبه بصفةٍ مماثلةٍ بالمشبه به غيرَ إنَّها أعظمُ من قرينتها.

و إمَّا من ضمن الدوافع التي دفعتهُ لِإختيار هذه المشابهة و هذه المصطلحات مثال؛ الفتنة، ابن اللبون، الظهر، الضرع و الحليب، هي إنَّ الامام واجه في عصره الفتن العديدة بسبب العوامل السياسية وذكر المصطلحات المذكورة هي انَّ البيئة التي كان يعيش فيها اهل زمانه، هي بيئة الجمل والناقة واللبن والمواصفات التي تحملها،

فلهذا كان فن الانزياح في تشبيه هذا العبارة، اروع و اجمل لانَّهُ جسدَ الفكرة والموضوع بشكل اسهل، يفهمهُ الكل. فالانزياح هنا، هو اسلوب مواجهة الفتن.

٢١- وَقَالَ عليه السلام: قُرِنَتِ الْهَيْبَةُ بِالْخَيْبَةِ وَالْحَيَاءُ بِالْحِرْمَانِ وَالْفُرْصَةُ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ فَانْتَهِزُوا فُرَصَ الْخَيْرِ.

أمر بانتهاز فرص الخير: أي المبادرة إلى فعله عند حضور وقت إمكانه، و رغّب في ذلك بضمير صغراه قوله: ((الفرصة تمرّ مرّ السحاب)) أي أنَّها سريعة الزوال، و تقدير

الكبرى: و كلّما كان كذلك فواجب أن يبادر إليه و يغتنم وقت إمكانه. (البحراني، ابن ميثم، ١٤٢٧هـ، ج٥، ص٣٠٧.)

فالإنزياح الموجود في هذه العبارة باسلوب التشبه التمثيلي، صورَ اغتنام الفرصة و الاستفادة منها قبل فوات الاوان بمرُّور سرعة السَّحابِ و عدم ايقافها و رجوعها، مقتبساً صورتها من آلآية الشريفة ((ترى الجبال تحسبها جامدةً و هي تمرُ مرّ السحاب))...

٥٩- وَقَالَ عليه السلام: مَنْ حَذَّرَكَ كَمَنْ بَشَّرَكَ.

أراد من حذرّك من الأمر كمن بشرّك بالنجاة منه، و وجه الشبه ظاهر، و هو ترغيب في الإقبال على المحذّر و استماع تحذيره لغرض النجاة بتشبيهه بالمبشّر. (م، ن، ص ٣٢٣.)

فانزاحة العبارة من تحذيرمن الخطر إلى تبشير إلى النجاة و السعادة. فقد بشَّر الذي حذَّر من الخطر. بالذي يبشّربالخير و الكاف أداة التشبيه.

٦٠- وَقَالَ عليه السلام: اللِّسَانُ سَبُعٌ إِنْ خُلِّيَ عَنْهُ عَقَرَ.

استعار لفظ السبع للّنسان باعتبار أنَّهُ إن ترك عن ضبط العقل له نطق بما فيه هلاك صاحبه كالسبع إذا لم يحفظ. فتشبيه اللّسان بالسبع تشبهٌ بليغٌ للغاية لانَّ الصفات التي يمتلكها السبع مشابهةً عند اللسان، و هي كما أنَّ فلتات السان تلقي بصاحبها إلى الهلاك بواسطة عدم سيطرة صاحب السان على لسانه، ايضاً من خصال السبع إنَّهُ أن لم يستطع السيطرة عليه و تركه على مرامهِ فتارتاً يقدر بصاحبه و يفرسه. يذكرنا بالحديث المعروف ((لسانك حصانك إن صنته صانك و إن خنته خانك)).

فلفظ ((عَقَرَ)) صفةٌ ليس من صفات السّبع، لأنَّ السبع يفرس فريسته باسنانه الحادة ولم يعقرها ومعنا مفردة عَقَرَ تاتي مثلاً: ((عقر الناقة)) اي قطع يدين و رجليها بالسيف. ولكن اتي بهذا اللفظ تضامناً مع سياق الكلام لأنَّ عثرات اللسّان تلقي بصاحبها إلى الهلاك حيثُ تجعلهُ كالّذي عُقرت يداهُ و رجلاهُ.

فالانزياح هنا ضرورة تربيت اللسان كما قال الشاعر يعقوب الحمدوني:

جراحات السنان لـه التئامُ ولا يلتام ما جرح اللسانُ

٦١- وَقَالَ عليه السلام: الْمَرْأَةُ عَقْرَبٌ حُلْوَةُ اللَّبَسْةِ.

اللبسة للعقرب: لسعها، و استعار للمرأة لفظ العقرب بالوصف المذكور باعتبار أنَّ من شأنها الأذى لكن أذتها مشوب بما فيها من اللذّة بها فلا يحسّ به و هو كأذي الحرب المشوب بلذّته في زيادة حكته.

فالانزياح هنا حلاوة أذي النساء بما إنَّها تلدق كالعقرب ولكن لدقتها ليس مضرةٌ.

٦٤- وَقَالَ عليه السلام: أَهْلُ الدُّنْيَا كَرَكْبٍ يُسَارُ بِهِمْ وَهُمْ نِيَامٌ.

ووجه الشبه قوله: ((يسار بهم و هم نيام))؛ وذلك أنّ الدنيا لأهلها طريق هم فيها سائرون إلى الآخرة حال ما هم في غفلة عن غايتهم والعمل لها حتى يوافوها، فأشبهوا الركب الذين يسيرون وهم نيام حتى يوافوا منزلهم. (البحراني، ابن ميثم، ١٤٢٧هـ، ج٥، ص٣٣٣.)

يقصد بالدنيا؛ أي الارض التي يسكن فيها الناس. ويفهم من لفظ ((الركب)) هو الشيء المتحرك أو المُتنقِل من مكان إلى آخر. و الذي يثبِّت هذا الآمر هو وجه الشبه ((يسار بهم)) وأيضاً يقصَد بعبارة ((هُم نِيامٌ)) أي: هم في غفلة عن غايتهم و العمل لها حتى يوافوها.

الوجه الثاني لفهم هذه العبارة؛ هو كما متعارف و ثابت عند علماء الفلك بأنّ الارض احدَ كواكبٌ المنظومة الشمسية؛ و لها حركتان: الحركة الأولى تُمسي الحركة الوضية، تدور فيها الارض حول محورها وبهذا يتشكل الليل و النهار وتستقرر اربعة و عشرين ساعة. وأمَّا الحركة الثانية هي الحركة الانتقالية؛ تدور حول الشمس، و تستقرر سنةً كاملاةً.

وايضاً الغرض من عبارة ((وَهُمْ نِيَامٌ)) أي أنَّ اهل الدُّنيا (اهل الارض) لم يحسّوا ولم ينتبهوا لهذين الحركتين (الوضعية و الانتقالية) و لم يشعروا بهما.

والنتيجة من تحليل هذه الحكمة سواء من جانب البلاغي أو من جانب العلوم الفلكية، هو أنَّ الدنيا ليست ثابتةً في مكان أو في زمان واحد بل هي دائمة الدوران، و أنَّ الناس الذين يعيشون فيها لم يبقوا فيها ثابتين بل يسار بهم و هم لا يشعرون. اي يموت البعض ويحيي الاخر. امتثالاً للآية الشريفة ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ القران الكريم، سورة المؤمنين، آية ٣٧.)

فانزياح هذه العبارة يفهَم من هذا الحديث المنقول عن رسول الله ﷺ ((الناس نيام فاذا ماتوا انتبهُوا)).

١٠٩- وَقَالَ عليه السلام: نَحنُ النُّمرُقَةُ الوُسطَي، بِهَ يلحَقُ التَّالِي، وَ إلَيهَا يرجعُ الغَالِي.

النمرقة: الوسادة الصغيرة، و استعار لفظها له و لأهل بيته بصفة الوسطي باعتبار كونهم أئمّة الحقّ و مستنداً للخلق في تدبير معاشهم و معادهم على وجه العدل المتوسّط بين طرفي الإفراط و التفريط و من حقّ الإمام الحقّ المتوسّط في الأمور أن يلحق به التالي أي المفرّط المقصّر، و أن يرجع إليه الغالي أي المفرط المتجاوز لحدّ العدل. (البحراني، ابن ميثم، ١٤٢٧هـ، ج ٥، ص ٣٦١.)

في عبارة ((نَحنُ النُّمرُقَةُ الوُسطَي)) يوجد تشبيه بليغ خالي من اداة التشبيه و وجه الشبه، ولفظ ((نحنُ)) مشبه و ((النُّمرُقَةُ الوُسطَي)) مشبه به ، طرفين التشبيه مفردتان الأولى مطلقة والثاني مقيدة.

شبه اهل بيته بلفظ ((النُّمرُقَةُ)) وهي الوسادة التي يتكئ عليها ويقصد بها أنَّ من أتكئ عليهم لم يخسر لأنَّهم هم ثابتون و صامدون و لم يزيلوا عن الحق و لم ينحرفوا إلى الباطل و الذي يتكاء عليهم كمن اتكئ على شيئ ثابت لم يهتز و يزول عن مكانه. و لفظة ((الوسطي)) تَدُلَّ على عاقبة المتأخر عنهم و المتقدّم عليهم هي الاتحاق بهم.

فانزاحت العبارة عن معناها الحقيقي و هو فضائل العترة بوصف بليغ و جميل للغاية وهو ((النُّمرُقَةُ الوُسطَي)). إلى معناه المجازي دعاة الحق والصامدون الثابتون. وهم متكئٌ مطمئنٌ ليس لهم لا زوال و لا انفصال.

١١٠- وَقَالَ عليه السلام: مَثَلُ الدُّنيا كمَثَلِ الحَيةِ لَينٌ مَسُّهَا، وَ السَّمُّ النَّاقعُ فِي جَوفِهَا: يهوِي إلَيهَا الغِرُّ الجَاهِلُ، وَ يحذَرُهَا ذُو اللُّبِّ العَاقِلُ.

مثَّل الدنيا بالحية، و وجه التمثيل قوله: ((لَين مسُّها... إلى آخره))؛ و ذلك أنَّ الدنيا لذيذة المتناول سهلة في عين الناظر إليها مع أنَّ فيها يشتهيه منها و يتناوله الشقاوة الأخروّة والعذاب الأليم، فيهوي إليها الجاهل بما فيها من سوء العاقبة و يحذرها العاقل العارف بها كما أنَّ الحية لين مسّها حسن منظرها يحسبها الجاهلُ سواراً من ذهبٍ، أو فضَّةٍ يهوي أليها لغرّته بما فيها من سمّ و يحذرها من يعرفه. (البحراني، ابن ميثم، ١٤٢٧هـ، ج٥، ص٣٦٩.)

شبَّهَ الدنيا بالحَيةِ السَّامّةُ القتلةَ لمن يقفل عنها و لم يتنبه اليها وينشغل بجمالها و نعومتها، ولكن الذي لم يغتر بمحاسنها و يحذر شَرَّها، لم تذره بشيء ما.

فوجه الشبه في هذه العبارة، لفظة ((لَين مسُّها)) مقتبس من الآية الشريفة: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ...﴾ (القرآن الكريم، سورة الحديد، آية٢٠.)

فغرض الانزياح في هذه الحكمة هو((ذم المشبه بما يقبّحه و يشوّهه، تنفيراً منه أو تحقيراً لهُ. حيث يصوّر المشبه بصورة تمجها النفس و يأنفه الطبع)) (جمشيدي، د، ليلا، ١٣٩٤ش، ص٦٤.)

٢٠٩- وَقَالَ عليه السلام: لَتَعْطِفَنَّ الدُّنْيَا عَلَيْنَا بَعْدَ شِمَاسِهَا عَطْفَ الضَّرُوسِ عَلَى وَلَدِهَا.

وَتَلَا عَقِيبَ ذَلِكَ: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾.

الضروس: الناقة سيئة الخلق تعضّ حالبها ليبقي لبنها لولدها؛ و ذلك لفرط شفقتها عليه، و استعار لفظ الشماس للدنيا باعتبار إعدادها لمنعه عليه السلام منها ملاحظة لشبهها بالفرس الّذي يمنع ظهره أن يركب، و شبّه عطفها بعد ذلك عليهم و إعدادها لتمكنهم من الحكم فيها بعطف الضروس على ولدها، و وجه الشبه شدّة العطف، والاستشهد بالآية ظاهر. (البحراني، ابن ميثم، ١٤٢٧ ه، ج ٥، ص ٤١٨.)

فالانزياح الموجود في هذه الحكمة هو تشبيه شدَّة عطف وحنان الدنيا على اهلها كعطف الناقة الحلوب على وَلَدَها ولفظ ((لَتَعْطِفَنَّ)) نتيجة المشقة و الحرمان و الظلم الذي حلَّ على اهل الدنيا بالفرج العاجل والعاقبة السعيدة وضمير ((عَلَيْنَا)) يقصد بهِ هم اهل البيت عليهم السلام وليس اهل الدنيا قاطبةً.

فصفة العطف المشتركة بين الناقة و الدنيا تُعطي جمالية الرّقَّةُ و الحنان و ايضاً تُولد املاً ونشاطاً و عزماً راسخاً للمستضعفين في الدنيا.

٢٥١- وَقَالَ عليه السلام: مَرَارَةُ الدُّنْيَا حَلَاوَةُ الْآخِرَةِ، وَحَلَاوَةُ الدُّنْيَا مَرَارَةُ الْآخِرَةِ.

أي مستلزمة لها، واستعار لفظي الحلاوة و المرارة للذّة و الألم، وظاهر أنَّ آلآم الدنيا

اللازمة عن ترك اذّاتها و عدم الالتذاذ بها طلباً للآخرة و شوقاً إلى ثوابها مستلزمةً لحلاوة الآخرة و لذّاتها، و كذلك الابتهاج للذّات الدنيا يستلزم الغفلة عن الآخرة و ترك العمل لها وذلك مستلزم لعذابها ومستعقب لشقاوتها. (البحراني، ابن ميثم، ١٤٢٧هـ، ج٥، ص٤٣٥.)

فانزاحة عبارة ((مَرَارَةُ الدُّنْيَا)) من الألم والمشقة إلى للذة و حلاوة الآخرة لنيل كسب الثواب و جَنَّة الخُلد و انزاحة عبارة ((حَلَاوَةُ الدُّنْيَا)) من لعب و لهو و زينة و تفاخر تكاثر في الاموال و الاولاد، إلى مرار و ألم و عاقبة سوء وهو عذاب الآخرة و في النهاية الدخول إلى جهنَّم و بئس المسير.

٢٦٣- وَقَالَ عليه السلام: صَاحِبُ السُّلْطَانِ كَرَاكِبِ الْأَسَدِ يُغْبَطُ بِمَوْقِعِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَوْضِعِهِ.

آي يتمنّي موقعه وهو يعلم أنَّه في غاية من المخاطرة بالنفس والتغرير بها، وذلك هو وجه الشبه براكب الآسد.

فشبّهَ الذي يتنعم بنعمة الحكام أو الملوك كراكب على الاسد المفتسر، فمحسودٌ عند الناس بسبب منزلته وغُربه من الملك والتنعم بنعم، بما أنَّهُ يعلم بخطورة مكانته كما يعلم الذي راكب على ظهر الاسد في لحظة ما أو خطاء صغير أو كبير يكون فريسة الاسد، كما يكون صاحب السطان اذا اخطاء، ليس فقط يحترم من النعم التي كان يتنعم بها و المكانة و المنزلة التي كانت عنهُ بل يكون ضحيةً لا تُجبر.

فالانزياح هنا؛ التمني و الاستخطار من كثيرة الحسَّاد و كثيرة القلق و خطورة المسئولية.

٤٦٥- وَقَالَ عليه السلام فِي مَدْحِ الْأَنْصَارِ: هُمْ وَاللَّهِ رَبَّوُا الْإِسْلَامَ كَمَا يُرَبَّى الْفِلْوُ مَعَ غَنَائِهِمْ بِأَيْدِيهِمُ السِّبَاطِ وَأَلْسِنَتِهِمُ السِّلَاطِ.

والْفِلْوُ: المهر. والسباط: السماح، ويقال للحاذق في الطعن: إنَّهُ لسبط اليدين يريد أنَّهُ ثقيف فيه. والسلاط: الحديد الفصيح.

وشبّه تربيتهم للإسلام وحمايتهم له بتربية الفلو، و وجه الشبه شدّة عنايتهم به وحسن مراعاته إلى حين كماله. (م، ن، ص ٥٣٩.)

فالانزياح هنا يمَثّل صفات الأنصار و كيفيت تعاملهم في تربيت الاسلام، فلهذا عَبَرَ

عنهم القرآن بهذه الصفات ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ...﴾(القرآن الكريم، سورة الفتح، آية ٤٨.)

النتائج:

من أبرز النتائج التي توصلنا إليها في هذه الدراسة التي تحمل عنوان الانزياح الاستبدالي في حكم نهج البلاغة ((نموذجاً فن التشبيه)) هي كما يلي:

١- قد اجمعت الدراسات القديمة على أنَّ فن الانزياح كان موجوداً في التراث النقدي القديم بشكلٍ شائع و بارز و أنَّ الذين يدعون بأن ظاهرة الانزياح وردت من الثقافة الغربية إلى الثقافة العربية ليس بصحيحة. و أول من استخدم هذا المصطلح في الأدب العربي هو عبد السلام المسدّي في كتابه ((الأسلوب والأسلوبية)) وَ اوَّل من أشار إلى هذه الظاهرة بالبحث و الدراسة عنها و سببها فهو سيبويه.

٢- استفادة الامام علي عليه السلام من السلوب الانزياح الاستبدالي في حكمه القصار، لِأنَّ وَجَدَ فيهِ حُسن التعبير و ترسيخ العبارات في ذهن المخاطب حَسب مقتضيات الحال من خلال الفاظ قليلة العبارات كثيرة المحتويات فاتَّخَذَ من فن التشبيه ادواتً لتجسيد الافكار المراد بها في ذهن المخاطب.

٣- لقد توصلنا إلى أنَّ التشبيه يشغلُ حيزاً كبيراً في حكم الامام فقد احصيناهُ على وجه التقريب فوجدنا أنَّ اكثر الحكم يوجد فيها تشبيه و استعاره المبنية على التشبيه.

٤- وجدنا إنَّ تشبيه البليغ اكثرانواع التشبيه في حكم الإمام لأنَّ التشبيه نظراً لحذف الاداة و الوجه فهو اكثر فصاحةً و بلاغةً و اختصاراً لهذا نرى إنَّ حكم الإمام فصيحة، بليغةً و موجزةً في نفس الوقت.

٥- وصف الدنيا بعدَّة اوصاف لأهميّتها ، فمررةً شبَّها بابن الناقة لعدم نفعه و مررة شبه اهل الدنيا بالركب الذي يسار بهم و هم غافلين و تارتاً وصفهم بالحية للين مسسها و وصفَ عطف و حنانها على اهل البيت بعطف الناقة على الولادها و أمَّا وصف نتيجة مرارة الدنيا و حلاوتها باللذةِ و الألم في الآخرة.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير مانبتديء به القرآن الكريم.
أولا - الكتب المطبوعة:
١. ابن ميثم البحراني، كمال الدين ميثم بن على، ١٤٢٧ ه، شرح نهج البلاغة، الجلد الاول، الطبعة الأولى،انوار المهدي، ايران قم، سيد حيدر الموسوي
٢. الغزي، بدور،١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م، اقوال الامام علي عليه السلام التراث في النحوي و الادبي، عبود كربلاء العتبة الحسينية المقدسة - مؤسسة علوم نهج البلاغة، الطبعة الأولى.
٣. الطالقاني، ضياء طُعمة عبدالحسين، ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م، أثر كلام الإمام علي عليه السلام في النثر العربي حتى نهاية القرن الثاني للهجرة: (الحسن البصري وابن المقفع إنموذجا)، كربلاء: العتبة الحسينية المقدسة - مؤسسة علوم نهج البلاغة، الطبعة الأولى. دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع
٤. الهاشمي، سيد احمد، ١٣٨٦ش، جواهر البلاغة، قم، مؤسسه انتشارات دار العلم.
٥. القزويني، الشيخ الامام الخطيب، تحقيق: محمد عبدالقادر الفاضلي، ١٤٢٤ه، - ٢٠٠٤ م، الإيضاح في علوم البلاغة، شركة ابناءِ شريف الانصاري، الدار النموذجية - المطبعة العصرية، بيروت- صيدا
٦. التفتازاني، سعد الدين، على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني، ١٣٨٦ ش - ١٤٢٨هـ، شرح المختصر: في المعاني و البيان و البديع، الناشر: اسماعيليان - قم، الطبعة الثالثة، المطبعة شريعت.
٧. الشيباني، د. حيدر هادي خلخال، ١٤٣٥ ق. = ٢٠١٤ م، ابنيةُ المبالغة و أنماطُها في نهج البلاغة (دراسة صرفيةٌ نحويةٌ دلاليةٌ)، الطبعة الأولى، كربلاء: العتبة الحسينية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية و الثقافية مؤسسة علوم نهج البلاغة، دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع
٨. الفتال، على، ١٤٣٥٦ ق. ٢٠١٥ م ، أضواء على نهج البلاغة (بشرح ابن أبي الحديد في استشهاداته الشعرية) الطبعة الأولى، كربلاء: العتبة الحسينية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية و الثقافية- مؤسسة علوم نهج البلاغة. دار الكفيل للطباعة والتشر و التوزيع
٩. الرازي، محمد بن أبي بكر بن قادر، ١٤٢٥هـ -٢٠٠٤ م مختار الصحاح، تحقيق احمد إبراهيم زهوة، دار الكتاب العربي بيروت،
١٠. الجارم، على - امين، مصطفي، البلاغة الواضحة و دليل البلاغة الواضحة:، دار المعارف
١١. الكاف. عُمَر بن عليّ بن أبي بكر، ١٤٣٥هـ.٢٠١٤ م، البلاغة. دار المنهاج..
١٢. جمشيدي، د، ليلا، ١٣٩٤ ش، علوم البلاغة - علم البيان. تهران، انتشارات پيام نور.
١٣. في تاريخ البلاغة العربية. عتيق. د عبدالعزيز. دار النهضة العربية. بيروت. ص. ب ٧٤٩- ١١
١٤. في البلاغة العربية. علم البيان. عتيق.د عبد العزيز. دار النهضة العربية. بيروت. ص. ب ٧٤٩- ١١
١٥. أباذر، د. عباچي، ١٣٧٧ ش، علوم البلاغة في البديع و العروض و القافية. تهران. سازمان مطالعة و تدوين كتب علوم الانسانية. دانشگاهها

١٦. رشيد الددة، د: عباس، ٢٠٠٩ م، الانزياح في الخطاب النقدي و البلاغي عند العرب. الطبعة الأولى، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة

ثانياً – الرسائل:

١٧. لوصيف، صونيا- كرميش سارة،٢٠١١م، الانزياح الدلالي في الألفاظ العربية (معجم العين نموذجا)، جامعة منتوري قسنطينة، الجمهورية الجزائرية الديمراطية الشعبية.
١٨. هيثم، حمريط، ٢٠١٧ -٢٠١٦ م، ظاهرة الانزياح اللغوي في القرآن الكريم _ سورة مريم -، جامعة المسيلة، الجمهورية الجزائرية.
١٩. زهره، رحو، ٢٠٠٧ – ٢٠٠٨م، جامعة وهران السانية، بنية الانزياح في المقدمات الطللية، الجمهورية الجزائرية الديمراطية الشعبية.
٢٠. بولحواش، سعاد، ٢٠١١-٢٠١٢م، شعرية الانزياح بين عبدالقاهر الجرجاني و جان كوهن،

ثالثاً – المقالات:

٢١. بخولة، د. بن الدين الانزياح الدّلالي و أثره في تطوُّر اللغة، جامعة حسيبة بن بو على – الشلف (الجزائر)
٢٢. مجاز، بختيار، أصلاني، سردار، شاملي، نصرالله. شتاء ١٤٣٧هـ، الانزياح التركيبي (التقديم و التاخير) في خطب نهج البلاغة، جامعة اصفهان، مجلة اللغة العربية و ادبها السنة ١١ العدد ٤.
٢٣. بن قويدر، مختار، ٢٠١٠ م الانزياح من منظور شجاعة العربية جامعة معسكر، الاثر – مجلة الآداب و اللغات – جامعة قاصدي مرباح – ورقلة – الجزائر العدد التاسع
٢٤. قائمي، مرتضي. يوسفي، اسماعيل. محمدزاده، جواد،. ٢٠١٦م/١٣٩٥ش، اسلوبية الانزياح في سورة الحديد المباركة. (إضاءات نقدية (فصلية محكّمةالسنة السادسة العدد الرابع والعشرون.
٢٥. نظري، على، وليئي، يونس، ربيع ١٣٩٢ ش، ظاهرة الانزياح في شعر أدونيس، دراسات الادب المعاصر السنة الخامسة، العدد السابع عشر
٢٦. الشتيوي، د. صالح على سليم، ٢٠٠٥ م، ظاهرة الانزياح الأسلوبي في شعر خالد بن يزيد الكاتب، مجلة جامعة دمشق المجله ٢١ – العدد (٣+٤).
٢٧. ويس، احمد محمد،١٩٩٧ م، الانزياح و تعدد المصطلح، عالم الفكر، المجلد الخامس و العشرين العد د الثالث، الكويت.
٢٨. اسكندر، د. محسن طاهر،٢٠١٨ م، الانزياح اللغوي بين التراث و المعاصرة، كلية التربية ، جامعة البصرة.
٢٩. عبد القادر، البار، ٢٠١٠ م، الانزياح في محوري التركيب و الاستبدال، الأثر – مجلة الآداب و اللغات جامعة قاصدي و رقلة الجزائر ف العدد التاسع.